الإعلام واللغة الإعلامية

للأستاذ منير البعلبكي

تمهيد :

الإعلام

١ ـ ماهيته

٢ ـ مراحل تطوره :

(أ) مرحلة التصوير

(ب) مرحلة الكتابة

(ج) مرحلة الطباعة

(د) مرحلة الصحافة

(هـ) مرحلة الإذاعة

(و) مرحلة التلفزة

٣ ـ أهميته ومستقبله

اللغة الإعلامية

١ ـ طبيعتها ومزاياها

٢ ـ لغة الصحافة

٣ ـ لغة الاذاعة والتلفزة

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثانية عشرة ليوم السبت ٥ / ٣ / ١٩٨٨ م.

الاعلام واللغـــة الاعلامية

تمهيـــد

يُجمع الباحثون ، أو يكادون ، على أن الإعلام هو سمة العصر الحديث وطابعه المميّز .

وهم ينزعون اليوم ، أكثر فأكثر إلى إحلال مصطلح « التواصل »[1] أو « التواصل الإعلامى » محّل مصطلح « الإعلام » لأن منهجية الإعلام الحديث تتخطى مجرد إبلاغ الخبر من طرف واحد لتجعل من العملية الإعلامية ضرباً من التبادل والتفاعل يشترك فيه اثنان : المُبَلغ والمُبَلَّغ ، المُخبِر والمُخبَر[2] . وبكلمة أخرى لتجعل من هذه العملية نشاطاً ثنائىّ البُعد بعد أن كانت من قبل نشاطاً أُحادىّ البُعد .

وإنما يتجلىّ ذلك أحسن ما يكون التجلى ، فى الصفة الحوارية التى تطبع عملية الإعلام فى يوم الناس هذا .

« فالإعلام هو الآن أكثرَ منه فى أى وقت مضى ، حوار فى الصحيفة بين المحرّر والقارىء ، وحوار فى الراديو بين المذيع والمستمع ، وحوار فى التليفزيون بين الممثل والمشاهد ، وحوار فى الجهاز الألكترونى بين دماغ الجهاز ودماغ الإنسان[3] .

---

(١) يستخدم معظم المؤلفين فى حقل الإعلام لفظ « الإتصال » بدلا من لفظ « الإعلام » وعندنا أنهم لا يضيفون بذلك إلى معنى الإعلام أى بعد جديد . لأن « الإتصال » كالإعلام ، عملية من جانب واحد ، و « التواصل » هو اللفظ المعبر تعبيراً صحيحاً عما يقصدون إليه ، كما سنرى .

(٢) الدكتور حسن صعب ، إعجاز التواصل – الحضارى الإعلامى ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤ ، الصفحة ١٢٠ – ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٨٥ – ٧٦ .

الاعلام

١ ـ ماهيته :

ولكن ما هو الإعلام ؟

الإعلام ، أو التواصل ، هو في أبسط معانيه نقل الخاطرة أو الفكرة أو الرأي أو المعلومة أو النبأ من شخص إلى آخر ومن مكان إلى مكان . أو قُلْ هو إشراك الآخرين والاشتراك معهم في المعلومات والأفكار .

والإعلام بهذا المعنى موغل في القِدَم . ولقد غالى بعضهم في التأكيد على قِدَميته فذهب إلى القول إنه ظاهرة عادية عرفتها كلّ المجتمعات منذ قالت حواءُ لآدم « طيبة هذه التفاحة » ، وإنه كان ينتقل بصورة فطرية بين الناس من شفة إلى أذن . . . وذلك من طريق المصادفة حيناً ، ومن طريق التجربة الشخصية حيناً ، ومن طريق الرواة والنقلة أو عن طريق التواتر في أكثر الأحيان [1] .

والحقّ أن الإعلام لا يعدو أن يكون كما يقول الدكتور عبد العزيز شرف ، « عملية ترامز »[2] ذلك بأنه يقتضي وجود مصدر يرسل الرمز بوسيلة من الوسائل ، ووجود مستقبل يعمل على حلّ الرمز وتفسيره ، ثم يبعث برجعه أو صداه إلى المصدر ، وهكذا . . .

والرمز قد يكون إشارة أو راية ، وقد يكون حركة أو نغمة ، وقد يكون طبلاً يُقرع أو نارا تُضرم ، وقد يكون رسماً في كهف من الكهوف أو حرفاً من الحروف . وكل هذه هي في حقيقتها « لغات » استعان بها الإنسان ـ وهو مخلوق تواصليّ بطبعه ـ على تحقيق تواصليته والعمل على تطويرها وتوسيع مداها لتصبح امتدادا للكلمة المنطوقة أو للغة بمعناها المتعارف عليه . ومن هنا جاز القول إن اللغة هي « القاسم » المشترك الأعظم بين مختلف عناصر

(١) الدكتور انيس مسلم ، وسائل الإعلام بين الرأي العام والإرادة الشعبية ، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر ، الطبعة الأولى ، جونيه ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ١٤ ـ ١٥ .

(٢) الدكتور عبد العزيز شرف ، المدخل إلى وسائل الإعلام ، دار الكتاب المصري ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ ، الصفحة ٧٩

العملية الإعلامية من مرسل ، ومستقبل ، ورسالة ، ووسيلة اتصال »[1] .

٢ ـ مراحل تطوره :

(أ) مرحلة التصوير :

يُعتبر اهتداءُ الإنسان البدائي إلى الرسم أولَ مَعْلَم بارز على طريق التطور الإعلامي أو التواصلي . ذلك بأنه استطاع بهذه الوسيلة المستحدثة أن يسجّل خاطراته وانطباعاته وخلجات فؤاده وحكاية عصره كلها على جدران المغاور التي اتخذها منازل له قبل بزوغ فجر التاريخ المدوّن بآلاف من السنين مؤلفة . يدلّك على ذلك أن علماء الآثار اكتشفوا ، عام ١٩٤٠ ، في لاسكو Lascaux في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا مجموعة من الكهوف تشتمل على رسوم جدارية ترقى إلى حوالى العام ١٨٠٠٠ قبل الميلاد ، وهي تصوّر حيوانات مختلفة ومشاهد رائعة أبدعها الإنسان القديم في ظلمة الكهف الدامسة ، وعلى ضوء مصابيح شاحبة قوامها بعض الطحالب المغموسة في الدّهن[2] .

وفي عهد الفراعنة ابتكر المصريون وسيلة تواصل لغوية رائدة قوامهـا مجموعة من الرموز التصويرية عُرفت بالهيروغليفية . ولقد اتخذت هذه الرموز شكل أشخاص حيناً وأشكال حيوانات أو أشياء حيناً آخر ، وكان كل رمز منها يمثّل كلمة أو مقطعاً أو صوتاً ، ومن هنا اعتدّها العلماء ابتكاراً مهّد السبيل لاختراع الأبجدية[3] .

ليس هذا فحسب ، بل لقد عُني قدامى المصريين في الوقت نفسه بتصوير مظاهر حياتهم ، على جدران المقابر المحيطة بالأهرام . تصويرا بارعاً يخيَّل معه لزائرها ؛ كما قال المؤرخ الشهير جيمس هنري بريستد ، وكأن الزمن

---

(١) المصدر نفسه الصفحة ٧٩ .

(٢) منير البعلبكي ، موسوعة المورد ، المجلد الثاني ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ ، الصفحة ١٩٣ .

(٣) منير البعلبكي ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، الصفحة ٨٦ .

قد رجع به القهقرى فهو يجوس خلال بيوت المصريين القدامى ويتجول فى بلاد وادى النيل لحظة كان أهلوه يبنون تلك الأهرام العظيمة[1] .

وبذلك يكون الإعلام ، على حد تعبير الدكتور عبد العزيز شرف ، قد « بدأ مصوّرا »[2] . وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما حققّه الإعلام فى عهد التلفزة والأقمـــار الصناعية من انتصارات باهرة جاز لنا أن نضيف إلى هذه الملاحظة الصائبة قولنا « وانتهى مصوّرا .

وبذلك أيضا يكون الإعلام قد عرف ثورته الأولى ، وهى ثورة كان سلاحها الرسم .

(ب) مرحلة الكتابة :

أما مرحلة التطور الإعلامى الثانيه فهى مرحلة الكتابة التى بدأت مع اختراع الحرف . وإنما يُعزى الفضل فى هذا الاختراع إلى الفينيقيين الذين طوروا الهيروغليفية المصرية ، وابتكروا حوالى العام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، أبجدية فذة قَصَروها على عدد محدود من الرموز . أو الحروف ، التى يمثل كل منها صوتا بسيطا . ومن العلماء من يعتقد أن الأبجدية الفينيقية نشأت من محاولات أبجدية ساميّة أبرزها الكتابة المعروفة بالسينائية الأُم Proto - Sinaiic التى ترجع إلى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد .

وأياً ماكان ، فليس من شك فى أن اختراع الأبجدية قد مكّن الإنسان من اختزان المعلومات والمعارف ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة ، مستعيناً على ذلك بالنقش على الطين والحجر والخشب أولاً ، ثم بالتدوين على ورق البردىّ والرقوق ، ثم بالكتابة على الورق آخر الأمر . ولعل أعظم ثمرة من ثمرات هذا التطور ظهور «الكتاب» بوصفه وعاءً للمعرفة ، وأداة للتثقيف ، ووسيلة لنشر الفكر الإنسانى على مستوى العالم

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٧٦ والصفحة ٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٩٩ .

كلّه ، من غير اعتبار لقيود الزمان أو المكان . وفى هذا الصدد يقول مرشال ماكلوهان Marshall Mcluhan إن الكتاب قد أسهم فى خلق الروح الوطنية ، وتحرير كثير من القوى الإجتماعية ، وساعد على تعميم التعليم وتطوير الصناعة والتجارة .[1]

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الثانية ، وهى ثورة كان سلاحها الحرف.

(ج) مرحلة الطباعة :

يُعتبر نشوء الطباعة المرحلة الثالثة من مراحل التطور الإعلامى . وإنما كان ذلك ، أول ماكان – وتلك حقيقة تغفل عنها أقلام الكثرة الكاثرة من الباحثين – فى القرن الثانى للميلاد عندما شرع الصينيون ينقشون النصوص الدينية على الحجر ثم يحبّرون السطوح المرتفعة ويأخذون عنها عدداً من الطبعات impressions . حتى إذا أطلّ القرن السادس للميلاد عرفوا الرواسم أو الكليشيهات الخشبية . ولعل أقدم أثر مطبوع بهذه الطريقة كان صلاة بوذية طُبعت على رَوسم خشبى حوالى العام ٧٧٠ للميلاد .[2]

هذا بالمعنى التاريخى للمصطلح ، إذا جاز التعبير . أما الطباعة بمعناها المتعارَف عليه اليوم فقد وُلدت على يدى جوهان غوتنبرغ الذى اخترع الطباعة بالحروف المنفصلة فى مابين عام ١٤٣٦ وعام ١٤٣٨ . ومنذئذ انتشرت هذه الطريقة المستحدثة فى أوروبا وشاع استخدامها بعد ذلك فى أرجاء العالم كله .

وتُعتبر مطبعة بولاق التى أنشأها محمد على باشا فى مصر ، عام ١٨٢١[3] أعظم المطابع الرائدة فى الوطن العربى ، وكانت قد سبقتها إلى الظهور مطبعة

---

(١) الدكتور أنيس مسلم ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٢٢ – ٢٣ .

(٢) منير البعلبكى ، المصدر الذى سبق ذكره ، المجلد الثامن ، الصفحة ٨٢ .

(٣) أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربى ، دار الثقافة ، بيروت الطبعة السادسة والعشرون ، الصفحة ٤٢٥ .

أوروبية أنشئت فى « فانو » من أعمال إيطاليا ، برعاية من الكنيسة الكاثوليكية ، ولايزال لدينا من إصدارها كتاب صلاة يرجع تاريخ طبعه إلى العام ١٥١٤[١] ، ومطبعة ديرمار يوحنا الصابغ التى انشأها فى الشوير الراهب اللبنانى عبد الله الزاخر المتوفى عام ١٧٤٨[٢] والمطبعة التى نهبها نابليون بونابرت من الفاتيكان وحملها معه إلى القاهرة عام ١٧٩٨[٣]

ولقد كان من آثار اختراع الآلة الطابعة انخفاض فى كلفة إنتاج الكتاب ، وتكاثر فى عدد النسخ المتداولة من الكتاب الواحد «وانتقالُ هذا العدد من مقام العشرات والمئات إلى مقام الآلاف والملايين »[٤] ، وتوسع فى إنشاء المدارس ودُور التعليم ، وتسارع فى انتشار المعارف على نطاق واسع لم يكن للإنسان عهد به من قبل .

وهكذا تحققّت ديمقراطية الثقافة بعد أن أصبحت فى متناول الناس على اختلاف طبقاتهم ولم تَعُدْ وقفاً على فئه منهم صغيرة . هذا على المستوى العالمى . أما فى أوروبا ، مهد الآلة الطباعية ، فقد أدى «نمو صناعة الكتب وازدهارتجارتها وتكاثر عدد مؤسسات الطباعة إلى ضعف احتكار الكنيسة والأديرة للمعرفة والعلوم مما جعل الطريق ممهّداً أمام حركة الإصلاح الدينى »[٥] .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف وربه الثالثة ، وهى ثورة كان سلاحها الآلة الطابعة .

---

(١) فيليب حتى وأدورد جرجى وجبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، دار غندور ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٧٤ ، الصفحة ٨٤٦ .

(٢) رئيف خورى ، التعريف فى الأدب العربى ، لجنة التأليف المدرسى ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٢ الصفحة ٤٤٦ .

(٣) فيليب حتى وأدورد جرجى وجبرائيل جبور المصدر الذى سبق ذكره الصفحة ٨٤٣ .

(٤) الدكتور محمد أحمد خضر ، مطالعات فى الإعلام ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١١٧ (لا ذكر لمكان الطبع) .

(٥) الدكتور عصام سليمان عيسى « تاريخ الإتصال ووسائله » مجلة الدراسات الإعلامية العدد ٣٨ دمشق ١٩٨٧ ، الصفحة ١٤ .

٥) مرحلة الصحافة :

الصحافة ، فى الأساس ، صناعة جمع الأنباء ، وإبداء الرأى فيها ، وتقديمها إلى الناس بطريقة تعتمد اعتماداً كبيراً على الصورة الممثِّلة للحدث ، وذلك على صفحات نشرة بخسة الثمن يومية الصدور فى الأعم الأغلب . وقد اتسع مفهوم الصحافة فى العصر الحديث فأخذت الصحف اليومية تُعنى ، إلى جانب الأخبار ، بأشياء أخرى غير الأخبار ، فأفردت زوايا من صفحاتها ، أو صفحات كاملة منها ، للمقالات الإقتصادية والإجتماعية والدينية والفلسفية والتاريخية والأدبية والعلمية والنقدية والفنية والرياضية وغيرها ، وعُنيت فضلاً عن هذا بالتعليق على الأحداث وبإجراء مايُعرف بـ « الحديث الصحفى » و « التحقيق الصحفى » وما إليهما . ولكن العنصر الأبرز فى الصحيفة اليومية يظل برغم ذلك عنصر الخبر .[1]

والصحف ليست كلها يومية . فهناك صحف تصدر أسبوعياً ، وصحف تصدر شهرياً ، وأخرى تصدر فصلياً . وهذه هى المجلات .

والمجلاّت بعضها ثقافىّ عامّ يحمل إلى قرائه قصصًا وقصائد ومقالات سياسية أو أدبية أو اجتماعية أو علمية مدروسة وموثقة وطويلة النفس عادة . وبعضها مقصور على حقل من حقول المعرفة فهو لايقدّم إلى قرائه غير المقالات والبحوث الداخلة فى نطاق تخصصه .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان نقل الأخبار يتمّ . منذ أقدم العصور ، من طريق الشفة أو من طريق المراسلة . حتى إذا اختُرعت الآلة الطباعية فى القرن الخامس عشر غدا نقل الأخبار وقفًا على الصحف فى المقام الأول . وإذا كان من المرجّح ان تكون أول نشرة إخبارية مطبوعة قد ظهرت عام ١٤٥٧ للميلاد فإن الإجماع منعقد على أن صحيفة فرانكفورتر جورنال Frakfurter Journal التى صدرت عام ١٦١٥ ، وكانت أسبوعية ، هى أولى الصحف

(١) منير البعلبكى ، المصدر الذى سبق ذكره ، المجلد السادس ، الصفحة ٢١ .

الأوروبية العصرية ، وأن صحيفة « ويكلى نيوز » Weekly News التى صدرت عام ١٦٢٢ ، وكانت أسبوعية أيضا ، كما يدل على ذلك اسمها ، هى أولى الصحف الإنكليزية على الإطلاق . أما أولى الصحف العربية فكانت « الوقائع المصرية » التى أنشأها محمد على باشا فى القاهرة عام ١٨٢٨ .

والكلام على الصحافة لايكتمل إلا إذا أشرنا ، ولو إشارة عابرة ، إلى وكالات الأنباء . ذلك بأن هذه الوكالات تقوم بجمع الأخبار التى تمسّ الصالح العام ، وتعمل على تزويد صحف العالم بأفضل سرد ممكن لأهم الأنباء الداخلية والخارجية ، ومن هنا اعتُبرت دعامة أساسية من دعائم الصحافة المعاصرة ، وجزءاً لايتجزّأ من بنيتها التحتيّة .

وبفضل وكالات الأنباء هذه ، وفضل التقدم المتسارع الذى حققته الطباعة والتطور المذهل الذى شهدته وسائل التواصل السلكية واللاسلكية والإلكترونية فى السنوات الأخيرة تمكنت الصحافة من إحراز الإنتصار تلو الإنتصار سواء على صعيد التوزيع وسعة الانتشار ، أو على صعيد الإخبار والتثقيف ، أو على صعيد التوجيه والتنوير ، أو على صعيد الإمتاع والتسلية ، أو على صعيد تكوين الرأى العام . ومن هنا أمست وسيلة الإعلام الجماهيرية الأولى ، وكان لها دور كبير فى تعزيز ديمقراطية الثقافة .

والواقع أن الصحافة ، كما يقول الأستاذ عبد اللطيف حمزة ، هى « مرآة الأمّة ، ولسانها الناطق بأفكارها وآرائها ، ورغباتها وحاجاتها ، وآلامها وآمالها » . وهى إحدى القوى ذات السلطان فى دورة الحياة الحديثة ، ومن أجل ذلك عُدّت السلطَة الرابعة فى الدولة ، « أى السلطة التى هى فى حوزة جميع القوى

(١) منير البعلبكى ، المصدر السابق ، الصفحة ٢١ .
(٢) الدكتور حسن الحسن ، الدولة الحديثة إعلام واستعلام ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٦ ، الصفحة ١٥٢ .
(٣) الدكتور محمد أحمد خضر ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٤٣٥ .

السياسية والتى تجسّد . إلى حدّ ما . كل القوى الشعبية التى تعتبر نفسها غير ممثّلة بالسلطات الثلاث التقليدية : التشريعية والتنفيذية والقضائية »[1].

ليس هذا فحسب . بل لقد ذهب برنارفُوْيَنْ Voyenne إلى أبعد من ذلك فاعتدّها السلطة الأولى على اعتبار أنها تمثل تيارات الرأى . والرأى – وبخاصه فى الأنظمة الديمقراطية – هو الذى يجسّد قِيَم المجتمع ويفرض ذاته على المشترع . وعلى السلطتين التنفيذية والقضائية أيضًا[2] .

هذا ، وعن الصحيفة المطبعية انبثقت الصحيفة السينمائية ، والصحيفة الإذاعية ، والصحيفة التلفزيونية . ولن ينقضى غير وقت قصير حتى تصبح الصحيفة الإلكترونية فى متناول الناس جميعا[3] . وليس هذا بعجيب ألبتّة . أما أصبحت بعض الصحف الكبرى تُطبع ، اليوم ، بين قارة وأخرى من طريق التواصل الفضائى ؟[4]

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الرابعة . وهى ثورة كان سلاحاها الجريدة والمجلة .

(هـ) مرحلة الإذاعة :

وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عرف العالم وسيلة إعلام جديدة نقلت التواصل من المرحلة المكتوبة إلى المرحلة المسموعة . وساعدت على « تصغير » العالم . إذا جاز التعبير ، وربط بعض أجزائه ببعضها الآخر . ولم تكن هذه الوسيلة الجديدة غير المذياع أو الراديو .

وإنما أُنشئت أولى محطات الإذاعة . فى العالم . فى الولايات المتحدة الامريكية ، عام ١٩٢٠ . ومنذئذ انتشرت هذه المحطات فى مختلف الأقطار وأصبح

---

(١) الدكتور أنيس مسلم ، المصدر الذى سبق ذكره . الصفحة ٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، الصفحة ١٧٦ .
(٣) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذى سبق ذكره . الصفحة ٢٢ .
(٤) المصدر السابق ، الصفحة ٢٥ .

المذياع وسيلة تواصل جماهيرية تنقل الصوت ، كلاماً كان أو نغماً ، إلى ملايين المستمعين فى كل مكان . حتى إذا أختُرع الترانزستور غزت الإذاعة كل زاوية من زوايا الأرض ، وبخاصة فى بلدان العالم الثالث ، وغدا فى ميسور الناس أن يستمعوا إلى برامج الإذاعات المحلية والعالمية وهم فى منازلهم أو فى مكاتبهم أو فى طريقهم إلى العمل أو خلال تنزّههم فى الحدائق العامة . . .

ليس هذا فحسب ، بل لقد حلّ المذياع فى كثير من الأحوال محلّ الجرائد والمجلات ، سواء أكان ذلك على صعيد الإخبـار أو على صعيد الإمتاع وإن لم يوفّق إلى حمل الناس على الإستغناء عن الجريدة أو المجلة ، وكاد يحل محلّ الكتب كوسيلة تثقيف وتوعية .

والحق أن المذياع قد عمل على تعزيز ديمقراطية الثقافة التى انبثقت مع اختراع الطباعة ونشوء الصحافة ، وذلك من خلال ماراح يقدمه إلى مستمعيه ، على اختلاف طبقاتهم ، وبصرف النظر عن كونهم متعلمين أو أميين ، من أحاديث أدبية ودينية وعلمية ومن برامج ثقافية أو تعليمية ميسّرة . ولعل هذا هو الذى حمل الدكتور طه حسين على اعتبار الإذاعة والتلفزة من العوامل التى تعوق الثقافة ، ودفعه إلى القول بأنّه كان يظن أن الراديو « سيكون أداة صالحة لنشر الثقافة والمعرفة فى أعماق الشعوب فإذا به يؤّدى إلى عكس ماكان يُرجى منه . ذلك لأن الإذاعة تزيد أن تصل إلى طبقات الشعب على اختلاف حظوظها من المعرفة ، وهى من أجل ذلك مضطرة إلى أن تصطنع اليسر والسهولة لتبلغ هذه الطبقات المختلفة التى تتفاوت حظوظها من المعرفة.. وإذا اعتمدت الإذاعة على السهولة واليسر اضطرت إلى تجنب المعرفة الرفيعةوالثقافة العميقة والواسعة »(١) .

وأيّاً ماكان فقد وُفِّقت الاذاعة إلى الفوز برضا الجماهير العريضة بفضل

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، ص ٢٣٠ .

هذا اليسر نفسه الذى يأخذه عليها الدكتور طه حسين ، والذى لولاه لانفضّ النَاس من حولها كما ينفضّون اليوم من حول البحوث المعمّقة والكتب الموضوعة لخاصة المثقفين دون عامتهم .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الخامسة ، وهى ثورة كان سلاحها الصوت .

(و) مرحلة التلفزة :

ولم ينقض على اختراع المذياع غير ربع قرن حتى اختُرعت ، فى مابين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٢٤ وسيلة تواصل جماعية جديدة عُرفت بالتلفزة . وقوامها تحويل مشهد متحرك ومايرافقه من أصوات إلى إشارات كهربائية ثم نقل هذه الإشارات وإعادة تحويلها من طريق جهاز الإستقبال إلى صورة مرئية مسموعة (١) . ومن هنا اعتُبرت خطوة على طريق الإعلام متقدمة على المذياع أو الراديو ، إذ جمعت بين الصوت الذى هو ميزة الراديو وبين الصورة التى هى ميزة السينما ، ومتقدمة على السينما أيضًا لأنها عبارة عن شاشة سينمائية صغيرة تقدّم إلى المرء ضروباً من الأفلام المشوِّقة ، فضلاً عن آخر أنباء العالم وصنوف البرامج التثقيفية والترفيهية ، وهو مسترخٍ فى منزله ، لايغادره إلى دور السينما كلما حلا له أن يشاهد مايُعرض على شاشاتها الكبيرة من ذلك كله .

وسرعان ماغزا التلفاز فى الأربعينات من هذا القرن الكثرة الكاثرة من البيوت وبعض المعاهد والمؤسسات فى كثير من بلدان العالم وأصبح علامة فارقة تميِّز الحياة المعاصرة وضرورة لايُستطاع تصوّر المدنية بدونها .

وكما ظُنَّ ، فى بادىء الأمر ، أن المذياع سوف يغنى الناس عن الجريدة أو المجلة ثم قام الدليل على أنه أعجز من ذلك فكذلك ظُنَّ فى أول عهد الناس بالتلفزة أنها سوف تلغى الإذاعة أو تسدّ مسدّها ، ولكنّ تعاقب الأيام مالبث أن خيّب هذا الظن وأثبت أنه كان مجرّد وهم كبير .

---

(١) منير البعلبكى ، المصدر الذى سبق ذكره ، المجلد التاسع ، الصفحة ١٨٤ .

هذا ، وقد خطت التلفزة فى السنوات القليلة الماضية ، بفضل التقدم التكنولوجى الحديث ، خطوات واسعة إلى الأمام ؛ فأصبح فى إمكان الإعلاميين أن ينقلوا برامجهم التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية. وأخذ بلايين الأشخاص يشاهدون فى ساعة واحدة ، وفى اللحظة عينها هبوط أول إنسان على سطح القمر ؛ ويحضرون الألعاب الأولمبية ، ويشاركون فى اللقاء بين شخصيتين عالميتين فى أى مكان من العالم[1] »

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته السادسة ، وهى ثورة كان سلاحاها الصوت والصورة .

٣ ــ أهميته ومستقبله :

تلك هى أبرز معالم التطور الإعلامى وأهم وسائله ، منذ العهود السابقة للتاريخ المدوّن حتى الآن . فإذا أضفت إلى الوسائل التى تحدّثنا عنها وسائل أخرى لم يتّسع مجال البحث للكلام عليها ، كالمنبر (الخطبة والمحاضرة والمناظرة) والمسرح والسينما والإعلان والعقل الإلكترونى أدركت أى مقام يحتلُّه الإعلام فى دنيا الناس ، وأيقنت أننا نعيش اليوم فى عصر متميّز هو «عصر الإعلام» بعد أن عشنا منذ إطلاق أولى المركبات الفضائية «عصر الفضاء»[2] .

وسواء أصح هذا أم لم يصح فإن الإجماع منعقد على أهمية الآثار التى أحدثها الإعلام فى حياتنا المعاصرة ، وهو مايتجلى لنا من قول مارشل ماكلوهان إن وسائل الإعلام قد حوّلت العالم إلى « قرية عالميــة » صغيرة[3] ، ومن نظـ ريته الشهيرة التى ذهب فيها إلى القـ ول إن كل وسـ يلة إعلامية جديدة ، من تلك الوسائل التى أشرنا إليها ، هى امتداد تكنولوجى

(١) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٢٤ — ٢٥ .

(٢) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٢٩ .

(٣) الدكتور عصام سليمان عيسى ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٨ .

لحاسّة بعَيْنها من حواسّ الإنسان :

« فالطباعة التي نشرت القراءة هي امتداد لحاسّة الإنسان البصرية ، والإذاعة التي عمّمت الصوت هي امتداد لحاسة الإنسان السمعية ، والتلفزة التي اشاعت الصوت والصورة معاً هي امتداد للحاستين البصرية والسمعية ، والعقل الإلكتروني الحافظ للمعلومات والمحلِّل لها هو امتداد لذاكرة الإنسان وفكره »[1] .

ويتوقع الباحثون أن يشهد الإعلام ، عمّا قريب ، مستجدات جديرة بأن تغيّر وجه الحياة الإنسانية . ومن هنا قالوا إن التعليم في البيت سيحلّ محلّ التعليم في المدرسة ، وإن عملية تكوين العقول وإعدادها لمواجهة الحياة ستعود مرة أخرى ، ولكن على مستوى أرفع بكثير ، إلى المنزل ، وبذلك يمكن الاستغناء عن التعليم النظامي الذي يتلقاه الطلاب في المدارس على اختلافها[2] ، وقالوا أيضًا إن المنزل سوف يصبح مركزاً إعلامياً ثنائيَّ التحرك ، فيتلقى ساكن المنزل الجريدةَ التي يريدها ، إلكترونياً أو تلفزيونياً ، ويتبادل الآراء مع محرريها ، ويختار البرنامج التلفزيوني أو الإذاعي الذي يفضِّل ، ويبعث بالتعليقات الفورية إلى مخرج ذلك البرنامج ، ويتسلَّم الكترونياً صفحة الكتاب التي يحتاج إليها من المكتبة من غير أن يغادر منزله ، ويُجرى مناقشة إلكترونية تلفزيونية مع جيرانه وأعضاء ناديه وكلٌّ منهم ملازم داره ، ويخاطب بجهاز هاتفي فضائي مخصوص كلَّ من يشاء وهو يشاهده وكأنه جالس معه »[3] .

وإذا اعتبرنا أن مراحل التقدم الإعلامي قد تمّت على نحو متسارع ، بمعنى أن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الأولى (مرحلة التصوير) والمرحلة الثانية (مرحلة الكتابة) قد نيّفت على ستة عشر ألف

---

(١) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٧٠ .

(٢) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٢٧٣ .

(٣) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذي سبق ذكره ، الصفحة ٧٦ .

عام ، وأن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة (مرحلة الطباعة) بلغت نحوا من ثلاثة آلاف عام ، فى حين أن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الخامسة (مرحلة الإذاعة) والمرحلة السادسة (مرحلة التلفزة) لم تزد على ربع قرن . . . أقول إذا اعتبرنا هذه الصفة التسارعية التى طبعت تاريخ تطور الإعلام حقّ لنا أن نكون على مثل اليقين من أن المستجدّات المستقبلية التى يتوقّعها الباحثون سوف تصبح حقيقة ملموسة بأسرع مما نتصور ، وربما خلال سنوات معدودات لاتزيد على أصابع اليدين .

اللغــة الإعلامية

١ ـ طبيعتها ومزاياها :

إن مهمة الإعلامىّ ، سواء أكان صحافيا ، أو إذاعيًّا أو مشتغلاً فى حقل التلفزة ، تقتضيه أن يواجه الجمهور يوماً بعد يوم ، ليطلعه على أنباء الساعة ، أو ليحللها له ، أو ليبدى رأيه فيها . وكثيرا ماتقتضيه مهمته النهوض بأعباء أخرى كالإقناع والتوجيه والتثقيف ، والتعبير عن موقف سياسى أو اجتماعى أو عقائدى معيَّن ، والعمل على تجسيد آمال المجتمع وتطلعاته ، فضلاً عن الإمتاع والمؤانسة وما إليهما .

وهذا الجمهور الذى يخاطبه الإعلامى جمهور عريض تتفاوت أعمار أفراده وحظوظهم من الثقافة والمعرفة . ففيه الكبير وفيه الصغير ، وفيه الطالب وفيه المعلِّم ، وفيه الأديب وفيه المهندس والطبيب ، وفيه ذو الثقافة الرفيعة وفيه نصف المثقف بل والأُمّى فى بعض الأحيان ، وكلٌّ من هؤلاء يتوقَّع أن تكون الوسيلةُ الإعلامية « مفصَّلة على قياسه » وأن ترتفع (أو أن تهبط) إلى مستواه ، والإعلامىُّ فى حيرة من أمره .

وإذْ كان من هَمِّ الإعلامىّ أن يوصل «رسالته » إلى هؤلاء جميعاً ، وإذْ كانت لغة الإعلام لغة تواصلٍ فى المقام الأول ، فقد تعيَّن عليه أن يراعى مختلف المستويات والمدارك . فلا يقول كلاماً يعجــز بعض من جمهوره عن فهمه ، ولا يصطنع بياناً يعجز بعضه الآخر عن تذوقه . وهذا ماحمل الدكتور إبراهيم إمام على القول إن الإعلامىّ «مضطر إلى افتراض إنسان متوسط الثقافة يوجِّه إليه إعلامه »(١) .

وقد توسع الدكتور عبد العزيز شرف فى الكلام على هذه النقطة فقال ماخلاصته إن وسائل الإعلام ، فى سعيها الدائب لاجتذاب أكبر عدد ممكن من القراء أو المستمعين أو المشاهدين ، تتوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمّع حولها أكبر عدد من الناس ، ونادراً ماتكون

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر السابق ذكره ، الصفحة ٦١ .

هذه النقطة هى أدنى المستويات . وإن رؤساء تحرير الصحف درجوا على توجيه المندوبين الناشئين إلى «ذلك الشخص الذى يحرّك شفتيه عندما يقرأ » يعنى إلى الشخص الذى يمثل أدنى مستوى ثقافى بين قراء الصحف ، وإذا كان هذا الشخص قادراً على فهم الأخبار الصحفية فإن القراء الذين يفوقونه ثقافةً قادرون على ذلك . وإنه لمّا كانت وسائل الإعلام تخاطب قارئاً أو مستمعاً أو مشاهداً افتراضياً فليس عجيباً أن تفتقد روح الألفة التى تسود عند الاتصال بشخص واحد . فالتقرير الذى تنشره صحيفة عن حدث ما ، يفتقد كثيراً من الألفة التى يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى صديقه عن هذا الحدث [1] .

وتفاوُت أعمار الأفراد وحظوظهم من الثقافة والمعرفة ليس وحده مايَحْكُم لغة الإعلامىّ وأسلوبه ، فثمة عوامل أخرى تحكم هذه اللغة وذاك الأسلوب . ومن أبرز هذه العوامل « آنيّة » الخبر اليومى الذى يشكّل مادة الإعلام . ذلك بأن هذه «الآنيّة » ترسم للإعلاميين حدوداً لايستطيعون أن يتخطوها ، وهذه الحدود تُلزمهم باصطناع أسلوب فى الكتابة لايحتمل الحذلقة والتقعر والزخارف اللفظية .

ليس هـذا فحسب ، بل إن هذه الصفة الآنيّة » التى تطبع النشاط الإعلامى تفرض على العاملين فى هذا الحقل قيودا من نوع آخر لايفرضها الإنشاء الأدبى أو العلمى أو الفلسفى أو الفنى على أصحابه . فالأديب ، كما يقول الدكتور محمد حمد خضر «حر » فى أن يكتب فى يومه عن أمسه السحيق لغده البعيد . وكذلك العالم والفيلسوف والفنان . أما الصحافى فمُلْزَم أن يكتب فى يومه عن يومه وليومه . أى أنه يكتب اليوم عن أحداث اليوم لقراء اليوم ، ولا محلّ فى عمله للتأجيل ولامجال للهروب من الماضى » [2] . وهذا مايجعل الإنشاء الإعلامى متّسماً بطابع السرعة والاستعجال

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر السابق ٦٨ — ٦٩ .

(٢) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٢٢ .

والسرعةُ والاستعجالُ عدوّان لدودان للتدبّر والتعمّق

وإذْ كان نقلُ الأخبار والتعليق عليها يحتّم الالتزام بالواقعية والموضوعية فقد تعيَّن أن تتَّسم لغة الإعلاميين بالطابع الواقعي والموضوعي . وفى هذا المعنى يقول الدكتور إبراهيم إمام إن التحرير الإعلامى تحرير موضوعى يبتعد عن الذاتية التى يتّصف بها الأديب مثلا . «فالأديب يُعْنَى بنفسه . ويقدم لنا مايجول فى خاطره . ويسجّل ما يراه وفقاً لرؤيته الخاصة وبرموز تنمّ عن ثقافته وعقليته . وهو فى هذا الصنيع يصف النفس الإنسانية ويتعمّق أسرارها ويكشف عن حسناتها ومساوئها . ويكون لأوصافه صدًى فى نفوس القراء من كل جنس ، وفى كل عصر ، ماداموا قادرين على قراءته وفهمه والاستفادة منه . فالأديب حرّ فى اختيار مايقول والقراء أحرار فى قراءة مايكتب الأديب »[1]

أما الإعلامىّ فلا يعبّر ، كالأديب ، عن أفكاره وتجاربه الخاصة . إنه يعبّر فى المقام الأول عن أفكار المجتمع وتجاربه[2] .

وفى هذا أيضاً يقول الدكتور محمد حمد خضر « إن الكاتب الإعلامى لايسخّر قلمه لوصف مظاهر الطبيعة أو رسم طبائع البشر أو تصوير خلجات النفس أو التعبير عن الإنفعالات الوجدانية إلا إذا كان من شأن ذلك كله أن يؤدّى إلى تكثيف الطاقة المحرّكة للرأي العام نحو الهدف الإعلامى المطلوب[3] .

ويقول فى موضع آخر : يحق للأديب والفنان والفيلسوف أن ينقلوا كلاما عن أشخاص غير موجودين فى الواقع يخترعهم الخيال وتولّدهم التصوّرات . . . كما يحق للأديب أن يستنطق الحيوان . وأن يُحيى الجماد ، وأن يخلط بين الواقع والحلم . وليس للصحافى من هذا كله شيء ،

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .

(٣) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر السابق ذكره ، الصفحة ١٣٣ .

فهو مُلْزَم بنقل وقائع الحياة الموضوعية بصورتها الحقيقية بأكثر ما يمكن من الدقة وأكمل مايكون من الموضوعية [1].

وعلى ضوء هذه الملاحظات كلها نخلص إلى القول إن للإعلام لغته الخاصة التي تختلف عن لغة الأدب ولغة الشعر ولغة العلم ذلك بأن لغة الأدب ذاتية في المقام الأول . ولغة الشعر مجنّحة بالرؤى والأخيلة . ولغة العلم مثقلة بالمصطلحات الفنية والأسماء العلمية . أما لغة الإعلام فتتميّز ، أول ما تتميّز . ، بالواقعية والموضوعية وتتّسم – أو يجب أن تتّسم بالبساطة . والوضوح . والسلامة . والإيجاز . والمرونة . والحَرَكية ، والنفاذ المباشر ، والقدرة ، على الإمتاع . فضلاً عن السلامة من الناحيتين الصرفية والنحوية .

وتجدر الإشارة ، في هذا المقام ، إلى أن أسلوب الإنشاء الإعلامي يختلف باختلاف الوسائل والمؤسسات الإعلامية فهو في الصحافة غيره في الإذاعة أو التلفزة . وهي في مجلة « تايم » غيره في مجلة « نيوزويك . ليس هذا فحسب . بل إن أُسلوب الإنشاء الإعلامي يتفاوت تبعاً للمادة الإعلامية ذاتها . ضمن الوسيلة الإعلامية الواحدة فهو في الخبر غيرُه في التعليق . وهو في الصفحة الأدبية أو العلمية غيره في الصفحة الرياضية أو الفنية أو الإمتاعية . وهكذا .

وسنحاول في ما يلي أن نلقي نظرة عجلى على واقع لغة الصحافة العربية وواقع لغة الإذاعة والتلفزة العربيتين .

٢ – لغة الصحافة :

كانت الكتابة العربية في القرن التاسع عشر مكبّلة بأغلال التقليد ، رازحة تحت أثقال السجع . غارقة في لُجَج الجناس والطباق وما إليهما . وكانت برغم ذلك كله مهلهلة النسج . هزيلة المضمون . بعيدة كل البعد عن سحر البيان العربي وروعته . ولقد كان

---

(١) المصدر نفسه . الصفحة ١٢٣ .

طبيعياً أن ينعكس ذلك على لغة الصحافة منذ اليوم الأول لنشوئها فتنجرف فى تيار السجع ، وترسف فى إسار الضعف، وتتردى فى مهاوى التكلف، وتعوزها جودة السّبك ، كما نرى فى افتتاحية العدد الأول من جريدة الوقائع المصرّية التى أنشأها محمد على باشا فى القاهرة عام ١٨٢٨ والتى تُعتبر أقدم الصحف العربية على الإطلاق (١) .

قال محرر « الوقائع » :

« الحمد لله بارى الأمم ، والسلام على سيد العرب والعجم . أما بعد ، فإن تحرير الأمور الواقعة مع اجتماع بنى آدم ، المتدبّجين فى صحيفة هذا العالم ، ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ، ومعاشراتهم التى حصلت من احتياج بعضهم بعضاً ، هى نتيجة الانتباه والتبصّر بالتدبير والإتقان ، وإظهار الغيرة العمومية ، وسبب فعّال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان (٢) .

وقد دفعت هذه الحقيقةُ أحدَ الغيارى على العربية إلى أن ينشر عام ١٨٨٦ فى أحد أعداد مجلة المقتطف مقالاً شكا فيه من ركاكة الأُسلوب الصحافى كما يظهر فى ما كان يُترجم من اللغة التركيـة وبعض اللغات الأجنبيـة الأُخرى . مقدماً على ذلك أمثلة كثيرة داعياً إلى « درء هذه المفاسد . ونبذ الكلام الركيك الفاسد » ، وذلك بمطالعـة كتب أئمة البيان العربى القدامى (٣) .

ولئن كانت الصحافة قد وفقت . بعد انقضاء فترة يسيرة ، إلى التغلب على هذه الركاكة وعلى غيرها من مواطن الضعف ، إلا أنها عجزت عن التفلت من قيود السجع . ولعل خير دليل على هذه الواقعة افتتاحية العدد الأول

---

(١) وهذا ما يجعل تلك الإفتتاحية أول مقالة تسطر فى تاريخ الصحافة العربية .

(٢) أنيس المقدسى ، الإتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢ ، الصفحة ٤٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

من صحيفة « لسان الحال » الصادرة في بيروت عام ١٨٧٧ ، أى بعد صدور « الوقائع المصرية » بخمسين سنة تقريبا ، قال محرر « اللسان » :

« « الحمد لله الذى يسبّح بحمده في الغدوّ والآصال ، وينطق مفصحاً بتعداد آلائه لسانُ الحال . حمداً يدوم آناء الليل وأطراف النهار . ما غرّد قمرى وترنّم هزار .

وبالإضافة إلى السجع ، لم تستطع الصحافة العربية في ذلك العصر التخلص من المبالغة الممجوجة ، والاطراء الرخيص المتمثل أكثر ما يكون بإسباغ الألقاب الطنانة على من تتحدث عنهم . ومن الأمثلة على ذلك قول جريدة وادى النيل لمناسبة صدور مجلتين بيروتيتين هما « الزهرة » ليوسف شلفون المتوفى عام ١٨٩٠ و الجنان « للمعلم بطرس البستاني المتوفى عام ١٨٨٣ : « وكلتاهما من الطرافة والكياسة ، وعظم الفائدة والنفاسة . في درجة عالية . وهيئة حالية . وكأنهما فتاتان من الجزر الأوربية ، وقد بدتا في كنائس نصرانية . متجملتين بمآزر مشرقية عربيــة . أو برانس مغربية . . . إحداهما تُنشر باسم « الزهرة » بتأليف وإدارة الأديب الأريب والكاتب اللبيب ، والآخذ من الكتابة بمجامع الفنون المدعو بيوسف الشلفون . . . والثانية تظهر باسم « الجنان » . جمع جنّة ، بقلم وإدارة المؤلف اللطيف . والمصنف المتقن الظريف . أصمعى هذا العصر الثاني ، المشهور باسم بطرس البستاني مع شبله الشــاب الفهيم . المعروف كذلك باسم سليم » [(٢)] .

وما هى غير فترة قصيرة حتى تحررت الصحافة من السجع نفسه بعد أن استشعرت أنه قيــد ثقيل

---

(١) الدكتور محمد حمد خضر ، المرجع الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة ١٤٠ وقد علق الدكتور محمد حمد خضر على هذا الشاهد بقوله « فتصوروا لو كان على الصحافى المعاصر أن يستخدم هذه اللغة وأن يعتمد على هذا الإيقاع التعبيرى لتغطية اختطاف طائرة أو نقل أنباء غارة حربية . . . » .

يحدّ من حركتها . ويتعارض مع ديناميتها ، ولا ينسجم مع رسالتها كوسيلة إعلام جماهيرية يتعيّن عليها أن تخاطب الناس بأسلوب يتمشّى مع روح العصر الذى وُصف فى تلك الفترة بعصر السرعة فإذا بنا نقرأ كلاماً جديدا لم تألفه الصحف من قبل ، كلاماً مرسلاً رقراقاً لا يتكلف السجع ولا يضحّى بالمضمون على مذبح التأنق اللفظى والمحسنات البيانية . ومن ذلك قول منشىء المقتطف يعقوب صروف المتوفى عام ١٩٢٧ فى وصف قصر من قصور البندقية (فينيسيا) : أما مقاصير هذا القصر وما فيها من الصور والتحف فمما لا يُستوفى وصفه إلا فى مجلد كبير ، لأن أعظم مصوّرى البندقية ونقاشيها أفرغوا جهد صناعتهم وغاية ما وصل إليه حذقهم فى نقشها فزينوها بالصور التاريخية والخيالية والنقوش والتماثيل (إلى أن يقول فى كلامه على إحدى هذه المقصورات : « وقد وقفت فى هذه المقصورة ساعة من الزمن حائرا مدهوشاً ، ولا أدرى ممّ دهشنى – أمن اتساعها الفائق . أم من كثرة صورها . أم من بديع ألوانها وإحكام رسمها . أم من صورة الفردوس فيها ؟ ولقد وددُت لو أن الساعة صارت شهرا . وعينى منظارا ، حتى أنعم النظر فى كل صورة ومشهد وأستخلص تاريخ هذه المدينة العظيمة من صور قصرها »[1] .

وليس أدل على « جوهرية » هذا التطور من مقارنة وصف منشىء المقتطف لذلك القصر بوصف معاصره السيد محمد توفيق البكرى المتوفى عام ١٩٣٢ لقصر مماثل من قصور فيينا وفيه يقول : « وصلتُ إلى ذلك القصر ففُتح الباب ، وكُشف الحجاب ، فإذا جنّة وحرير ، وملك كبير ، ودنيا فى دار ، وليل ونهار ، ووجوه تشرق ، وحلى تبرق . . . وسقوف من مرمر ، وأرض من عرعر ، وكأن كل سقفٍ لوح مصوَّر ، وكل أرض روض منوّر . . . وقام على الأركان تماثيل وتصاوير ، وأنصاب وقوارير ،

(١) أنيس المقدسى ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٤٥٢ .

فكأنما الدار زُوْن (أى موضع تُنصب فيه الأَصنام) ، أو معرض فنون . . . وتدلّت الثريات كأَنها أَشجار مفتّحة الأَنوار ، وكأَن أقباسها آذان جياد ، أَو عيون جراد ، أَو قِطَع أفلاذ ، أَو صفائح فولاذ[1] .

ومع ذلك فإن لغة الصحف لم تَنْج من نقد كبار اللغويين الذين تتبعوا سقطاتها وعملوا على تصحيح مغالطها . ولعل أشهر هؤُلاء الشيخ إبراهيم اليازجى الذى نشر فى مجلة « الضياء » مقالات متابعة عنوانها « لغة الجرائد » وقد صدرت هذه المقالات فى ما بعد فى كتاب يحمل الاسم نفسه ، وذلك فى القاهرة عام ١٣١٩ للهجرة . وقد قدم لهذا الكتاب بالقول : « إننا لا نزال نرى فى بعض جرائدنا أَلفاظاً قد شذّت عن منقول فأُنزلت فى غير منازلها أَو استعُملت فى غير معناها فجاءت بها العبارة مشوّهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السّبك فضلاً عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطأ ، ولا سيما إذا وقع فى كلام من يوثق به فتتناوله الأَقلام بغير بحث ولا نكير »[2] .

والواقع أَن كثيرا مما أَورده اليازجى فى كتابه هذا يظل محّل خلاف بين العلماء لأَنه استند فى رفضه إياه إلى مجرد القول إن كتب اللغة لم تنّص عليه ، وكأَن كتب اللغة قد نصّت على كلام العرب كله ، أَو وكأَن كتب اللغة القديمة مفروض فيها أَن تنّص على ما قضت ضرورات هذا العصر باستخدامه . ومع ذلك فمن المفيد أَن نورد هنا نماذج من الأَخطاء التى سردها لأَنها تلقى الضوء على بعض عشرات الأَقلام فى زمن اليازجى ولأَن عددا غير يسير من هذه الأَخطاء لا يزال يتردد صداه فى صحفنا ومجلاتنا حتى يوم الناس هذا .

---

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٥٢ أيضاً .
(٢) الشيخ إبراهيم اليازجى ، لغة الجرائد ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، القاهرة ١٣١٩ للهجرة ، الصفحة ٥ —٦ .

قال صاحب « لغة الجرائد » :

ويقولون : غصن يانع أى نضير أو رطب ، وكذا زهرة يانعة وروض يانع ، ولا يأتى « ينع » بهذا المعنى ، إنما يقال ثمر يانع وينيع ، أى ناضج ، وقد ينع الثمر وأينع إذا أدرك وحان قطافه . . .(1)

« ويقولون : ذهب الرجلان سوية ، أى ذهبا معا . وإنما السّوية بمعنى السّواء ، يقال قسموا المال بينهم بالسوية ، وهذا حكم لا سوية فيه ، وهى النَّصَفة والعدل . . .(2)

« ويقولون ؛ هو يسعى لنوال بغيته وإنما النوال بمعنى العطاء ، أى الشيء الذى يعطى ، وليس بمصدر لنالَ ، والصواب لنيل بغيته . . .(3)

« ويقولون : نيّف وعشرون دينارا فيقدمون النيّف ، والمسموع تأخيره يقال عشرون ونيف ، ومئة ونيف . . .(4)

« ويقولون : هو مدمن على هذا الأمر ، أى مواظب عليه ، مديم لفعله ، والصواب ترك الجارّ لأن هذا اللفظ يتعدّى بنفسه . . .(5)

« ويقولون : عوّدته على الأمر ، وتعوّد عليه ، واعتاد عليه ، والصواب حذف الجارّ فى الكلّ . . . .(6)

« ويقولون : رأيته أكثر من مرة ، وجاءنى أكثر من واحد . والظاهر أن هذا التعبير منقول عن التركيب الأجنبى . والعرب يستعملون لفظ غير : يقولون رأيته غير مرة وجاءنى غير واحد ، لأن غير الواحد لابدّ أن يكون اثنين فما فوق . . .(7)

(1) المصدر نفسه ، الصفحة ١١ .
(2) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .
(3) المصدر نفسه ، الصفحة ٢١ .
(4) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٥ .
(5) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٦ .
(6) المصدر نفسه ، الصفحة ٣٢ .
(7) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٩ — ٥٠ .

ويقولون : رجل ثورَوِى على مثال فوضوى ، أى من أصحاب الثورة وهم ثورويّون . ولا وجه لزيادة هذه الواو قبل ياء النسبة وكأنهم يتجافون عن أن يقولوا ثوريّ لئلا يلتبس بالمنسوب إلى الثور ، على أن الثور لو فطنوا مشتق من الثَّوران ، لأنه يثور أو لأنه يثير الأرض فالشركة حاصلة على كل حال . . . (١)

وأيا ما كان ، فقد خطت اللغة الصحافية منذ عهد الشيخ اليازجى ، خطوات واسعة على طريق الصحة والنصاعة وحسن البيان ، ووضعت ألفاظاً لم تكن ، كالسيارة والدراجة والمجهر والهاتف والمُنطاد ، واشتقّت صيغاً من بعض الأسماء مثل قَوْلَب من القالب ، وموّل من المال ، وبرمج من البرنامج ، وقنّن من القانون ، وعَلْمَنَ من العلمانية وطور من الطور ، وعّلبَ من العلبة ، ومصّر من مصر ، ولَبْنَن من لبنان ، وقيّم من القيمة ، وجدولَ من الجدول ، واستجوب من الجواب ، واستشرق من الشرق . ليس هـذا فحسب ، بل لقد وفقت ، فضلاً عن ذلك كله ، إلى مخاطبة جماهير الشعب فى غير ما ابتذال أو إسفاف ، وإلى التعبير عن حاجات العصر مستوعبة خلال ذلك كل جديد فى ميادين الفكر والعلم والإجتماع .

وإذا صحّ أن البلاغة ، كما عرفها بعض شيوخنا القـدامى ، هى إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ ، فعندئذ يكون فى ميسورنا أن نزعم أن لغة الصحافة قد بلغت اليوم مرتبة صالحة من البلاغة . وهذا ما أكد عليه نقيب الصحافة اللبنانية ، محمد البعلبكى ، بقوله : « إن لغة الصحافة العربية بوجه الإجمال لغة فصيحة يندر فيها الخطأ اللغوى ، سواء من حيث قواعد النحو أو من حيث تركيب الجملة ، بل إنها لغة

---

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ٥٢ – ٥٣ .

ترتفع فى بعض المقالات إلى درجة البلاغة ، بكل ما فى البلاغة من تحسين وإبداع[1] .

والحق أن الصحافيين المعاصرين لم يرتقوا بلغة الصحافة إلى مرتبة من البلاغة صالحة فحسب بل ارتقوا من طريق ذلك بلغة الناس اليومية أيضاً . فهذبوا حاشيتها ،وأثروها بطائفة من الألفاظ والصيغ التى ابتكروها وعملوا على الترويج لها . وهكذا جرت على الألسن كلمات وتعابير مستحدثة ما لبثت أن أصبحت جزءًا لا يتجزأ من اللغة المحكية . ومن الأمثلة على ذلك قولهم : السيارة والدراجة ، والقطار ، والقاطرة ؛ والمدمّرة ، وجواز السفر ، وتأشيرة الخروج ، وتذكرة الهوية ، وحظر التجول ، وصفارة الإنذار ، والهاتف . والبرقية ، والديمقراطية ، والدكتاتورية والأرستوقراطية ، والبورجوازية ؛ والإشتراكية ، والشيوعية ، والتعاونية والمأساة ، والكارثة ، والمهزلة ؛ والتطبيع والتصنيع ، والتطويع ، والتعاليب . والبرج العاجى ، وغزو الفضاء ، والقمر الصناعى ، والمركبة الفضائية . وقولهم «وضعه فى الصورة » ، وبدأ العدّ العكسى « و فاوض من موقع القوة » ، « وفقدت الدولة مصداقيتها ، وأعطاه الضوء الأخضر » ، و شد الحزام » ، وعضّ على جرحه » . و « انطوى على نفسه » و « لعب ورقة الصراع الطائفى » وأحصى عليه أنفاسه » . و « خرج عن طوره » ، و « خرج من جلده » ، و « دفع الثمن غالياً » . و « ذرّ الرماد فى العيون »و « دقّ ناقوس الخطر » ، و « توترت العلاقات » ، وتكهرب الجوّ » ، و « قرأ ما بين السطور » ، و « دخل التاريخ من أوسع أبوابه » . و « على مستوى العاصمة أو الجمهورية الخ . .[2]

---

(١) محمد البعلبكى ، من رسالة بعث بها إلى صاحب هذا البحث فى نطاق استطلاع للرأى أجراه حول لغة الإعلام .

(٢) من أراد التوسع فى هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب الأستاذ أحمد أبو سعد « معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولد » ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧ .

وهذه الملاحظة تقودنا إلى ثلاث ملاحظات متلازمة معها ، أولها أن الصحافة قد أنزلت الأدب من برجه العاجى وَوَسَمَتْه بسِمَةٍ ديمقراطية جديدة فتعايش مع الناس وعُنى بمعالجة قضاياهم اليومية والمصيرية . والثانية أنها أعادت العربية إلى أصالتها بوصفها لغة أدب وعلم وحضارة بعد أن أحالتها عصور الإنحطاط إلى لغة أدب وبديع وبيان ليس غير . والثالثة أنها أغنت المعجم العربى بما استحدثه رجالها من تعابير فرضتها عليهم الأحداث الجارية أو حملتهم على ابتداعها ضروراتُ الترجمة عن مصادر الأنباء أو عن موارد المعرفة من كتب ومجلات علمية وموسوعات عامة [1] فقالوا : سياسة المحاور ، وسياسة اللاعنف ، وسياسة النعامة وسياسة فرّق تسد ، وسياسة الحياد الإيجابى وسياسة التمييز العنصرى ، وسياسة الإقتصاد الحرّ ، وسياسة الإقتصاد الموجّه ، وسياسة التهدئة ، وسياسة الحافة أو سياسة حافة الهاوية ، [2] وسياسة شدّ الحزام . . .

وقالوا : الحرب الخاطفة ، والحرب الباردة ، وحرب الإبادة ، وحرب الإذاعات ، وحرب الإشاعات ، والحرب بين الإخوة ، وتوازنُ القوى ، وتوازن الرعب ، والتوازنُ الإستراتيجى ، والغارات الجوية الوهمية ، والانتفاضة الشعبية . . .

وقالوا : المقاومة السلبية ، والعصيان المدنى ، والتعايش السلمى ، وحقوق الإنسان ، والحقوق المدنية ، وعواصم القرار ، والإرهاب الدولى ، وحمّام الدم وبؤر التوتر . . .

وقالوا : العالم الثالث ، والإصلاح الزراعى ، والأمن الغذائى ، وبنك الدم ، وإصلاحية الأحداث ، والآثار الجانبية ، واستطلاع الرأى ، وناطحات السحاب ،

---

(١) اجتمع لدينا خلال إعداد هذا البحث مئات من هذه التعابير نكتفى هنا بذكر طائفة منها .

(٢) Brinkmanship .

والضريبة التصاعدية ، والحاسبة الألكترونية أوّ الدماغ الألكتروني ، والعدّ العكسي ، وغزو الفضاء ، والقمر الصناعي ، والمركبة الفضائية . . .

وقالوا : حق النقض ، والعملة الصعبة ، والقطع النادر ، والروتين الحكومي ، ومجانية التعليم ، وديمقراطية الثقافة ، ومسرح الدمى ، ومسرح اللامعقول ، ومسرح العبث ، ودواليب الحظّ ، ومحكمة التاريخ ، والبنية التحتية ، والتكامل الإقتصادي ، والتبادل الثقافي ، والمدرسة النموذجية ، والحلقة الدراسية ، وقصر الثقافة ، وبيت الطلبة ، والمدينة الجامعية ، والمدينة الصناعية ، والمدينة الرياضية ، ومدينة الملاهي ، ومدينة الأشباح . . .

وقالوا : قصيدة النثر ، وعروس المدن ، وفتاة الغلاف ، وملكات الجمال ، والجريدة الناطقة ، وكاميرا الأخبار ، ومجلة المجلات ، ومجلة التلفزيون ، والأسلوب البرق . والرقص التعبيري .

وقالوا : عقدة النقص ، وتنازع البقاء ، وبقاء الأصلح ، والصراع بين الطبقات ، والمدارس الأدبية ، والمجامع العلمية ، والجماعات الأصولية ، وموضوع الساعة ، وساعة الصفر ومقبرة المشاريع .

وقالوا : المعدن الأصفر ، والذهب الأسود ، والضوء الأخضر ، والخط الأحمر ، والكذبة البيضاء ، والانقلاب الأبيض ، والثورة البيضاء ، والسوق السوداء . . . .

ويحسن بنا قبل الإنتقال إلى الكلام على لغة الإذاعة والتلفزة أن ننصّ على أن الصحافة كان لها أكبر الفضل في نشوء فنّ « المقالة » الحديث ، وذلك لحاجة الصحف والمجلات إلى معالجة مختلف الموضوعات السياسية والإجتماعية والاقتصادية والدينية والفلسفية والتاريخية وغيرها في فصول مركزة لا تحتل من صفحاتها غير حيزّ محدود والحق أن « المقالة » استقطبت نفرا من كبار كتّاب العصر ، فانبروا إلى إمداد الصحف والمجلات بفيض

خواطرهم ووحى أقلامهم . وقد جمع كثير من ثمرات هذا النشاط الخصب فى كتب قيّمة أضافت إلى الأدب العربى ثروة جديدة .

٣ ـ لغة الاذاعة والتلفزة :

إن ما ذكرناه عن لغة الصحافة ينطبق انطباقاً شبه كامل على لغة الإذاعة والتلفزة . ولا عجب ، فقد بدأ الإعلام المسموع « الإذاعة » والاعلام المسموع المرئى « التلفزة » من حيث انتهى الإعلام المقروء : بمعنى أنهما لم يكونا فى حاجة إلى تجشّم مشاقّ الرحلة الطويلة التى تعيّن على الصحافة القيام بها لكى تكتشف لغتها المميزة . ومن هنا اتسمت لغتهما الفصحى ، منذ البدء ، بالبساطة والوضوح والإيجاز والمرونة والنفاذ المباشر والقدرة على الإمتاع ، فضلاً عن السلامة النسبية من الناحيتين الصرفية والنحوية .

نقول « السلامة النسبية » لأن مستوى لغـة الإذاعة والتلفزة يبدو لنا دون مستوى لغة الصحافة ، وهذا الهبوط فى المستوى لا يتأتى دائماً عن ضعف فى النصوص المكتوبة . فالنصوص قد تكون خالية من الشوائب فى كثير من الأحيان ، ولكنه يتأتى عن ضعف فى الأداء ناشىء فى أسوأ الأحوال عن « أميّة » بعض المذيعين – وبخاصة فى حقل التلفزة اللبنانى – وفى أحسن الأحوال عن ضآلة حظوظهم من الثقافة اللغوية .

ذلك بأن لِلُغة الإذاعة والتلفزة ، بخلاف لغـة الصحافة ، وجهين اثنين وجه الكتابة ، ووجه التلاوة . وهذا ما فصّله نقيب الصحافة فى لبنان محمد البعلبكى فى قوله : « إن ما قد يختفى وراء الحرف المطبوع فى الصحافة ينكشف على لسان المذيع أو المتحدّث فى الإذاعة والتلفريون . . . وإن أبرز ما تعانيه اللغة العربية فى هذا المجال هو ما اتصل بمخارج الحروف من حيث التفخيم والترقيق ، وما اتصل أيضاً بلجوء المذيعين إلى اعتماد تسكين أواخر الكلمات باستمرار ، مما ينبىء عن جهل ويؤدّى إلى تقطيع الجُمَل

تقطيعاً يُفسد المعنى أو يؤذى بلاغة الأداء ، حتى إذا أقلع المذيع عن التسكين وقع فى أخطاء نحوية من مثل خفض المنصوب أو نصب المرفوع أو تأنيث المذكر وتذكير المؤنث ومختلف الضمائر العائدة إليهما[1] .

وقريب من ذلك قول فيكتور سحاب فى كتابه « أزمة الإعـــلام الرسمى العربى » : « وفى هذا النطاق يدخل أمر تحريك أواخر الكلمات . ذلك أن عجز معظم المذيعين عن التحريك السليم ألجأهم إلى اتباع أسلوب بشع فى الإلقاء يقضى أن يسكّنوا آخر كل كلمة ويقطعوا انسياب الجملة التى يجب أن تكون متصلة بفضل الحركة فى آخر كل كلمة . . .وفى هذا النطاق أيضاً يدخل أمر التفخيم والترقيق . ومعظم المذيعين الآن لا يعرفون أىّ الحروف تُفخَّم وأيها ترقق[2] .

وقوله فى موضع آخر : « إن مذيعينا توقفوا منذ ردح من الزمان عن السعى إلى اللفظ السليم والتحريك الصحيح ، بل توقفوا عن التحريك على الإطلاق فقطّعوا الكلام كلمة كلمة . . . وفقدوا الحسّ بالإيقاع العربى للكلم ، والتنغيم السليم للجملة . . . وفى الماضى لم تكن تلك هى حال الإعلام الرسمى . كنا نستمع إلى مذيعين هم أشبه بالأُدباء منهم بالنمط الذى نعرف اليوم ، لقد نما حجم الإعلام وعظم شأنه ولم يواكب ذلك نماء فى كفاءة العاملين فيه ، بل أدّت الحاجة إلى الكثرة إلى التساهل فى المعايير .[3] »

ويتجلّى ضعف المذيعين اللغوى فى مجالات غير هذه أيضا . ذلك أن نفراً غير يسير منهم يجهل فى الأعم الأغلب معانى الحروف ومواضع استعمالها ، ولا يميز بين همزة القطع وهمزة الوصل

---

(١) محمد البعلبكى ، المصدر السابق ذكره.

(٢) فيكتور سحاب ، أزمة الإعلام الرسمى العربى ، الطبعة الأولى ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٥ ، الصفحة ٩٧ – ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٠ – ٢١ .

فهو يصطنع الأولى حيث ينبغي أن تصطنع الأخرى . ولايراعى أحكام العدد . ولا يكسر همزة « إن » بعد فعل القول . ولا يكلّف نفسه عناء ضبط عين الفعل من طريق العودة إلى المعجم .

هذا فضلاً عن بعض الأخطاء المفردة التى يرتكبونها عادةً . من مثل قولهم : « احتَضر » بدلا من « احتُضر » ؛ وقولهم « اضطرّه الأمر إلى كذا » بدلا من « اضطَرَّه الأمر إلى كذا » متوهمين أن هذا الفعل لايأتى بغير صيغة المجهول ألبتّة . وقولهم « مزّقه إرَبًا إرَبًا » بدلا من « مزّقه إرْبًا إرْبًا » . ومن عجب أن اليازجى نبه على هذا الخطأ فى كتابه « لغة الجرائد » منذ مئة عام على وجه التقريب . ومع ذلك فلا تزال طائفة من المذيعين تقع فيه ، وقولهم « عن كثْب » بدلاً من « عن كَثَب » . وقولهم « الأزَمة » بدلا من « الأزْمة » . وقولهم « المُعْدَم » بمعنى المعوز والفقير بدلاً من « المُعْدِم » ؛ وقولهم « من جِراء » بدلا من « من جرّاء » ، وقولهم « إحدى المستشفيات » بدلا من « أحد المستشفيات » . وقولهم « غادر سماحته إلى الديار المقدسة » بدلاً من « غادر سماحته العاصمة أو المدينة إلى الديار المقدسة » غافلين عن أن « غادر » فعل متعدٍّ وليس فعلاً لازماً . وقولهم « سوف لن يحضر » بدلاً من « لن يحضر » . وقولهم « نفَّذت بيروت إضرابا شاملا » بدلا من « أضربت بيروت إضراباً شاملاً » ؛ وقولهم « نفَّذ طيران العدو غارة على الجنوب » بدلاً من « قام طيران العدو بغارة على الجنوب » أو « شنَّ طيران العدو غارة على الجنوب » . وغير ذلك مما سمعناه ودوَّناه فى أثناء إعداد هذا البحث .

وأيًا ماكان . فرفْعُ مستوى لغة الإذاعة والتلفزة ليس بالأمر العسير إذا صدقت النيّات وصحّ منا العزم . ونحن نقترح ، توصلاً إلى ذلك ، الأخذ بالتوصيات التالية :

١ – إنشاء فروع فى كليّات الإعلام لتخريج المذيعين والمذيعات وبخاصة فى علمى الصرف والنحو وفى الأدب العربى وتاريخه .

٢ – العناية فى هذه الفروع بتدريس القرآن الكريم وعلومه ، وبخاصة علم التجويد ، لما لذلك من أثر بعيد فى تقويم ألسنة الطلاب ، وإثراء ثقافتهم اللغوية ، وفتح أعينهم على جمالية « العربية » وأسرار بلاغتها .

٣ – قَصْر إسناد وظيفة المذيع أو المذيعة على خريجى هذه الفروع وخريجاتها .

٤ – إخضاع من تختارهم هيئة الإذاعة أو هيئة التلفزيون ، لهذه الوظيفة ، لدورة تدريب يركّز فيها فى المقام الأول على حسن الأداء وجودة الإلقاء .

٥ – تعويد المذيعين والمذيعات مراجعةَ المعاجم ابتغاءَ التأكد من صحة ما يستعملون من ألفاظ سواء من حيث المعنى أو من حيث البنية ، وابتغاء ضبط عين الفعل الثلاثى فى الماضى والمضارع ، وما إلى ذلك .

٦ – إنشاء هيئة مراقبة مهمّتها الإستماع إلى المذيعين والمذيعات ، على نحو موصول ، وتسجيل الأخطاء التى يقعون فيها وإرشادهم إلى وجه الصواب فى كل منها بعد انقضاء الفترة الإذاعية .

ومهما يكن من أمر ، فإن مشكلة الأداء والإلقاء ليست العقبة الوحيدة التى تعترض سبيل لغة الإعلام الإذاعى والتلفزيونى وتهبط بها إلى ما دون مستوى لغة الصحافة باعتبار أن الصحافة ليس عندها مشكلة أداء وإلقاء . . . ذلك بأن ثمة مشكلة أخرى عانى منها الإعلام الإذاعى والتلفزيونى منذ نشأته ، ولايزال ، فى حين ظلّت الصحافة فى نجوة من مفاعيلها السلبية منذ اللحظة الأولى حتى اليوم . عَنَيْت مشكلة العامية والفصحى ، وهى أشدّ خطراً واكثر تعقيداً من مشكلة الأداء والإلقاء .

وواضح أن نشرات الأخبار الإذاعية والتلفزيونية تقع خارج مشكلة العامية والفصحى هذه ، لأنها حُرّرت أول ماحررت – ولاتزال تحرَّر إلى الآن – بالعربية الفصحى . ومن هنا اقتصرت هذه المشكلة على مختلف البرامج الإذاعية والتلفزيونية بإستثناء النشرات الإخبارية .

والحق أن الكثرة الكاثرة من الذين كتبوا أو ألفوا فى موضوع الإعلام توقفت عند هذه المشكلة وحاولت أن تبدى رأياً فيها ، أو تقترح حلاً لها .

وإذْ كانت هذه الآراء وتلك الحلول تلتقى كلها عند نقطة مركزية واحدة فقد رأينا أن نورد فى مايلى نموذجين اثنين منها ليس غير .

أولهما قول الدكتور فؤاد زكريا : « وفى هذا الإطار ذاته ، إطار نشر الثقافة ، تندرج مشكلة اللغة الفصحى واللهجات العامية . . . ومن هنا رأى البعض أن التوجه إلى الجماهير العربية من خلال اللغة الفصحى وحدها هو أشبه بصرخه فى الفلاة ، لاتجد من مستجيب ، وأكّد هذا البعضُ أنك إذا أردت أن تسمعك الجماهير حقاً ، وتستجيب لندائك ، فلا مفر لك من التضحية برونق الفصحى ، ومن مخاطبة هذه الجماهير باللغة التى تحيا بها حياتها اليومية وتعبّر بها عن انفعالاتها وتشرح من خلالها أحاسيسها . . . وأستطيع أن أقول إنه إذا كان هناك أى حلّ لهذه المشكلة فإن أقرب الأجهزة إلى تحقيق هذا الحل هو الإذاعة المرئية ، ففى استطاعتها أنْ تستخدم فى برامجها المختلفة لغة عامية ممزوجة بالفصحى مزجاً يزداد قوة بالتدريج ، وأن تعوّد الجماهير العربية – دون نقلة مفاجئة – على أن تألف سماع الفصحى والتعبير عن نفسها من خلالها ، وذلك بأن تضع خطة مدروسة للغة المستخدمة فى برامجها ، حتى الترفيهية منها ، وكلنا نعلم أن هناك عامية تتضمن كثيراً من التعابير الفصيحة ، وأن هناك لغة متوسطة ، لاهى بالعامية الخالصة ، ولاهى بالفصحى الكاملة . مثل هذه اللغة إذا استُخدمت على نطاق واسع وازداد نصيب الفصحى فيها بالتدريج كانت كفيلة بأن تعيد إلى اللسان العربى وحدته دون عناء كبير » .

وثانيهما قول الدكتور نديم نعيمه ، أستاذ الأدب العربى الحديث فى الجامعة الأميركية فى بيروت : « الواضح فى نظرى أن مشكلة الإعلام عندنا هو أنه مايزال يتعثّر غالبا بين عامية وفصحى متنقلاً بين لغتين اثنتين

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٢٧١ – ٢٧٢ .

بلغتنا فى تباعدهما حد الإستقلالية ، بحيث أصبح لكل منهما دائرتها وجمهورها ، فكأن الإعلام إذ يعتمد الواحدة أو الأخرى إنما يتوجه إلى فئة من فئتين مستقلتين فى المجتمع الواحد . المنتظر من إعلامنا ، وهو مابدأنا نرى بوادره ، خاصة فى لبنان ، ليس أن يهرب من الفصحى إلى العامية بهدف التعميم ، أو من العامية إلى الفصحى توسيعاً لدائرة الإنتشار ، بل أن يخلق لغة هى « عامية الفصحى » تماماً كما هو حاصل فى لغات العالم المتقدم . فهناك «عامية الإنكليزية» لا الإنكليزية العامية ، وهناك «عامية الفرنسية » لا الفرنسية العامية ، وكذلك هى الحال فى الألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها . و «عامية العربية» ليست اللغة المحكية بل هى الفصحى وقد أكسبها الإستعمال ما للعامية من حركية وأسقط عنهـا الكثير من أصولية أرستوقراطيتها اللفظية والإعرابية والبلاغية والبيانية وغيرها دون أن يحوّلها إلى لغة عامية مستقلة »(١) .

ولئن كان نطاق هذا البحث لايتسع لمزيد من التفصيل فإنه لن يضيق ببضع ملاحظات تختصر رأينا فى هذه المشكلة :

١ ـ إن لغة الإذاعة والتلفزيون مرشحة لأن تكون هى لغة الناس المحكية فى المستقبل ، بل لغة العرب الجامعة لهم ، وذلك نتيجة لاستماع الجماهير إليها على نحو موصول ، ونزوعهم إلى محاكاتها على نحو لا واع . ومن هنا تعيّن أن تُدرس أعمق الدرس وتُرسم لها الخطط العلمية التى تفضى إلى حلّ مشكلتها حلاً نهائياً .

٢ ـ إن كل حلّ صحيح لهذه المشكلة يجب أن ينطلق من حقيقة أساسية هى أن الفجوة بين العامية والفصحى واسعة إلى حدّ يتعذّر معه ردمها فى فترة قصيرة . وهذه الحقيقة تفرض علينا أن لانتعجل الحلّ المنشود وأن نعمل على بلوغه خطوة خطوة ومرحلة بعد مرحلة .

٣ ـ وتأسيساً على هذا ، نرى أن تكون لغة الإذاعة والتلفزيون ـ فى الوقت

---

(١) الدكتور نديم نعيمة ، من رسالة بعث بها إلى صاحب هذا البحث فى نطاق إستطلاع الرأى أجراه حول لغة الإعلام .

الحاضر على الأقل وربما تصبح هـذه اللغة لغة الناس المحكية فى يوم من الأيام – على مستويات ثلاثة :

(أ) مستوى « العربية الفصحى » .
والواقع أن الإعلام المسموع والإعلام المرئى اصطنعا هذه اللغة ، منذ نشأتهما الأولى ، وفى نشراتهما الإخبارية كلهـا ، ولايزالان . ونحن نقترح أن يصطنعاها أيضا فى كل مايقدمانه إلى المستمعين والمشاهدين من أحاديث ، وندوات ثقافية ، وبرامج تعليمية ، ومقابلات مع رجال الفكر والسياسة الخ .

(ب) مستوى «اللغة المتوسطة» .
وهى اللغة التى تقع فى منزلة بين منزلتى العامية والفصحى ، والتى أطلق عليها الدكتور نديم نعيمة اسم «عامية الفصحى» .
ونحن نرى أن يصطنع الإعلام الإذاعى والإعلام التلفزيونى هذه اللغة فى برامجهما الترفيهية على اختلاف أنواعها .

(ج) مستوى « اللغة الدارجة » .
ونعنى بها العامية المهذبة بعض الشىء ، والمرشحة لأن تهذّب باستمرار ، وعلى نحوٍ تدريجى ، كلما آنس رجال الإعلام استعداداً من جمهور المستمعين والمشاهدين لتقبّل هذا التهذيب ومقدرةً على استيعابه .

ونحن نذهب إلى القول بأن التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية كلّها يجب أن تُكتب بهذه اللغة إلا إذا كانت تمثيليات تاريخية أو مترجمة عن إحدى اللغات الأجنبية .

٤ – إن لغةً إعلامية موحّدة لابدّ أن تنبثق – مع «الأيام ، وعلى نحو طَبَعِىّ – من المستويات اللغوية الثلاثة التى ذكرنا ، وبذلك تحلّ مشكلة العامية والفصحى فى الإذاعة والتلفزيون ، وتمهّد الطريق إلى حلّها فى حياة الناس اليومية أيضًا .

منير البعلبكى
عضو المجمع المراسل من لبنـان